**التفصيل والإجمال وأثرهما في اتساق النصّ الشعري، دراسة تطبيقية في شعر مصطفى جمال الدين**

**أ.د حسين عودة هاشم**

**م.م حازم رشك حسوني**

**كليَّة التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة**

**المستخلص:**

يتناول هذا البحث علاقة جديدة من علاقات الاستبدال الذي يسهم في اتساق النصّ، وهي مستوحاة من دراسة شعر مصطفى جمال الدين، والتأمل في العلاقات النصية التي تحكم نسيج النصّ، وتواشج عراه عن طريق إحلال مفردة محل أخرى من دون تكرارها فهي علاقة إحالية ولكن على صعيد المفردات تقوم على تعاور التفصيل والإجمال في سياق النصّ الشعري.

الكلمات المفتاحية: (التفصيل، الاجمال، النص الشعري).

**The Impact of Details and Outlines on the Poetic Text Coherence: An Applied Study in Mustafa Jamal Al-Deen’s Poetry**

**Prof. Dr. Hussein Odeh Hashem**

**M. Hazem Rashk Hassouni**

**College of Education for Human Sciences - University of Basra**

**Abstract:**

This Paper examines a new substitution relationship that contributes to the text coherence inspired from Mustafa Jamal Al-Deen's poetry, contemplating the textual relations that govern the texture of the text, and interweaving its parts by substituting one word for another without repetition. It is a reference relationship on the level of vocabulary based on the correlation of details and outlines in poetic text context.

Key words: (detail, summary, poetic text).

**مقدمة:**

من صور الاستبدال التي يستعملها مصطفى جمال الدين في شعره بغية جعله متسقا متناميا (التفصيل والإجمال)، والمقصود بهذه العلاقة ذكر شيء مجملا ، ثم يردف بذكر آخر يفصله، وقد يكون العكس تفصيل ثم إجمال، ومنه أن تذكر ألفاظا عامة تندرج فيها ألفاظ تعتمد على ما سبق ذكره من أجل توضيحه وتفسيره.

**تعريف الإجمال والتفصيل:**

كثرت تعريفات العلماء للتفصيل والمفصل وتسمياتهم فهو (التفصيل)(**1)**، و(بيان التفسير)(**2)**و( الإيضاح )(**3)**و( التمييز والبدل )(**4)**،و( المبيِّن )(**5)،**و( والمفسِّر والتفسير )(6)، إلا أنّهم لا يخرجون عن كونه بيانا للمحتمل من المعاني الموجودة في المجمل للتنصيص على المعنى المراد منها(**7)**؛ إذ ((إنّ العقل يتحرك مع الإجمال والتفصيل منطلقا من الفكرة الكلية العامة إلى عناصرها، بطريقة تفصيلية تكشف عن أنّ الفكرة تتحلل إلى عناصر جزئية صغيرة غير قابلة للتجزئة أحيانا ،أو أنّها تتحرك مع عناصر مختلفة ، تكوّن هذه العناصر مجتمعة فكرة عامة أو كلية ))(**8)**. إنّ توقف معرفة الشيء على ما ذكر سابقا يمنح النص قوة واتساقا ،وبهذا المعنى يكوّن التفصيل علاقة استبدال من المجمل وهو اللفظ المستغلق الفهم عند المتلقي؛ فلا يفسر إلا بوساطة لفظ آخر أو ألفاظ عدة، أما انفراد الرسالة بذكره هنا فلأنه (( رابط بياني غير شكلي أي ليس فيه أداة رابطة ، والرابط البياني بين الجمل في النص تقوم على أنّ الجملة الثانية وردت لتفسير الأولى فالاستئناف فيها يقوم على التوضيح بالتفصيل بعد الاجمال وغياب الرابط يكون لقوة الارتباط بين الجملتين ))(**9)**وقد كثرت صوره في الديوان كما سنرى في التطبيق .

**تطبيقات من التفصيل والإجمال في شعر مصطفى جمال الدين**

من موارد التفصيل والإجمال في شعر شاعرنا قوله في قصيدة ( الفقيدان )(**10)** :

أيها الثاكلون حبّ أبي موسى

تعالوا .. فكلّنا عشّاقُ

ههنا الحزن : واحة تنبت

الوجـــــــــــد ، وكأس من الهمومِ دهاقُ

وخريفٌ أزهارهُ المقلُ الحمرُ

وسلساله الدمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــوعُ الرقاقُ

ولفيفُ الأغصانِ أذرعُ من

حــــــــــــــــــــــــــفّوا بنعشِ الربيعِ والأعناقُ

من صحابٍ: كأنهم خاشعُ السرو

ذوتْ من شحـــــــــــوبِهِ الأوراقُ

وعفاة ٍ جاؤوا الربيعَ مغتربَ

العطرِ..فقصّتْ جذورَها الأعراقُ

وبكاهُ الفراتُ حزنًا ، وجـــــــــــــــــــــزّتْ

شعرَها حولَهُ النخيلُ العتاقُ

يحاول الشاعر تصوير الحزن الذي لفّ المعزّين جرّاء رحيل فقيدهم وعظم رزيتهم به ، إلا أنّه لم يعمد إلى استبدال لفظة الحزن بمفردة أخرى تدلّ على بعض معانيها أو ظلالها الدلالية ، بل راح يستطرد بذكر تفاصيل جزئية تكون بمنزلة التعريف لمفهوم عام ، هذه الجزئيات هي امتداد عاطفي، وشعوري لدى الشاعر استطاع عن طريقه تجنب التكرار باسطا مساحة القول في أبيات عّدة متماسكة آخذا بعضها بنياط بعض، ثم تتوالد التفاصيل مرة أخرى عن طريق حرف الجر(من) الذي عمل واسطة التفاصيل لكي يستمر تناسل الأبيات، وكأنّ سائلا يسأل ما هو الحزن ؟ عند ذاك ستكون الإجابة إن ّالحزن هو:

1 - واحة تنبت الوجد .

2- كأس من الهموم .

3 - خريف أزهاره المقل الحمر.

4- سلساله الدموع الرقاق.

5- الصحاب الذين يشبهون خاشع السرو.

6 - وعفاة مقصوصو الجذور .

حزن الشاعر هنا حزن خاص متفرد، يحمل صفات خاصة به لا يشبه غيره، وهو حزن مجازي ،عبارة عن كنايات واستعارات، بمعنى أن للشاعر تعريفا خاصا به لمفهوم الحزن الذي لولا الصفات التي لحقت به لما زال إبهامه ، الحزن هنا أصبح كالعنصر الإشاري (هذا) الذي يشير إلى ما بعده ، ولكن الإحالات هنا غير المبهمات هناك في الإحالة ، الإحالات هنا من الموضّحات لخفي، هذه الموضّحات يربط بينها رابط دلالي غير ظاهر للحس له من قوة التماسك بحيث يكون حال إحداهما من الأخرى كحال الصفة من الموصوف وبهذا يكون النص متسقا والأبيات التي توالت تراكميا بما تحمل من صفات الحزن متماسكة فيه دلاليا بوساطة المعلومات التي يقدمها النص(**11)**، ناهيك عن أنّك تستطيع أنْ تستبدل أي عبارة من هذه العبارات :

فالحزن واحة الوجد كأس الهموم خريف المقل سلسال الدموع ..........الخ

وقد عبر الجرجاني عن هذا بقوله: (( واعلم أنّه كما كان في الاسماء ما يصله معناه بالاسم قبله .فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه ، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به ))(12).

وفي قصيدة (صدى الحرب) يقول الشاعر (**13)**:

أتمرُّ أيامُ السّــــــــــــــلامِ بنا

ويعمُّنا برخـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــائِه الدهرُ ؟

ونروحُ نقنصُ من لذائذِهِ:

ما يستطيبُ القانـــــــــــــــــــــــــــــــــــــصُ الحرُّ

فموائدٌ خضرٌ وأروقةٌ

زرقٌ وأستارٌ بها حـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــمرُ

وكواعبٌ بيضُ تحيطُ بِنا

كالأقحـــــــــــــــــــــــــــــــــوانةِ حاطَها الزهرُ

وحديثُ أصحابٍ يدورُ كَمَا

دارتْ بعــــــــــــــــــــقدِ السّامرِ الخمرُ

وسياسةٌ لا كالتي ولدتْ

منها الحـــــــــروبُ وأنشيءَ الذكرُ

بيضاءُ كلُّ حديثِها جهرُ

حمـــــــــــــــــــــــراءُ كلُّ خصامها فكرُ

رعناءُ لا تبقي عَلى أثرٍ

سمحــــــــــــــــــاءُ ليسَ يروقُها الهدرُ

بوركت أمنية يـــــــــــــــــــــــلذُّ لنا

أنْ يستعــــــــــــــــــادَ بِها الهوى البكرُ

يتساءل الشاعر في هذه الأبيات تساؤلا يشبه الأمنية، بل هو الأمنية المحضة التي ينشدها وننشدها جميعا مادامت الخليقة، وتوالت الدهور، إنّها أمنية السلام بما فيه من لذائذ ونعيم، والشاعر هنا لا يعرّف السلام وأيامه، وإنما يكتفي بذكر لوازمه فالسلام بوصفه مفهوما عاما ولا يختلف عليه اثنان، لكن الشاعر هنا يعطي مفهومه للسلام وهو مفهوم سطحي حسّي عنده فهو لا يتعدى أن يكون مجموعة من اللذائذ الآنية وإن أطرت بإطار ديني فالسلام هو: ما يقتنصه القانص الحر من موائد خضر وأروقة زرق ، وأستار حمر وكواعب بيض وحديث أصحاب دارت برؤوسهم الخمر، وسياسة بيضاء ليست مليئة بالحروب ، سمحاء غير رعناء، فالشاعر هنا لا يعطينا تعريفا للسلام عن طريق توالي صفات كما في القطعة السابقة، وإنما يشرع بذكر تفاصيل وجزئيات عناصر اللذة التي يتوخاها في عيشة هنية راضية، مذكرا بما ورد في القرآن الكريم قال جل جلاله ((متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان ))(14)، وقوله تعالى ((كأنهنَّ بيضٌ مكنون))(**15)**، وقوله تعالى ((وَنَزَعْنَا ما فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ إخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِيْن ))(**16)**، وتستمر فرشاة الشاعر لترسم لنا الألوان (من الجمع: بيض ، حمر إلى المفرد : بيضاء ، حمراء) بمتوالية لونية تأخذ بأطراف الأبيات الواحد تلو الآخر حتى تكتمل اللوحة بتعداد اللذائذ التي بدأتها فاء الاستئناف التي قامت بوظيفة التفصيل مشفوعة بواوات النسق حتى الوصول إلى ما يشبه رد الصدر على العجز في قول الشاعر :

بوركتِ أمنيةً يلذّ لنا

أنْ يستعادَ بِها الهَوى البِكْرُ

فالأمنية المتصيّدة من الاستفهام في بداية القطعة الشعرية اتسقت مع الأمنية في آخرها مما زاد في تماسكها، وكأن ما بعد الاستفهام جواب له ، أو عودة عنصر لاحق يتوقف فهمه على سابق فرط غموض وإبهام وتنبيه للمتلقي أن ما ذكر متواليا هو أجزاء هذه الأمنية .

وهكذا هو تعريف الشعر ومحنته في قوله من قصيدة (مربدان )(**17)** :

محنةُ الشِّعْرِ : أنّهُ فِي قُلُوبٍ

البعضِ زهوٌ مدلّلٌ وانْتِشَــــــــــــــاءُ

وهروبٌ مِنَ اللظى ، وَاصْطِلَاءٌ

بِلظى جمْرِها الأكولِ ادعاءُ

وتوابيتُ من حروفٍ ، يُسَجّى

الشّعر فيها ،كأنَّه أشــــــــــــْـــــــــلاءُ

ثُمَّ لا شيءَ غير أنَّك تدْعوها

بِما سَنّهُ لك الأدعيـــــــــــــــــــــــــــــــــاءُ

فقد عمل ضمير الشأن ( الهاء ) على توسيع دائرة القول بإحالة بعدية لا قبلية كما هو عمل الضمائر الأخرى إذ اختص هذا الضمير بهذا النوع من الإحالة مما يجعل تناسل الملفوظات مستمرا في المتواليات النصية مضفيا عليها أهمية وسم بها من دون غيره ، فـتأتي التفاصيل محدثة وقعا في النفوس بتعبير الرضي(**18)** لافتة انتباه السامعين عن طريق مفارقات لفظية واستبدالات ما بين زهو الشعر وانتشائه وبين الهروب من اللظى والاصطلاء فيها وبين بشاعة الصورة المؤلمة التي رسمها الشاعر للشعر المسجى في التوابيت وكأنه أشلاء، لكن القطعة الشعرية جاءت متسقة والأبيات مترابطة فيما بينها، وقد يعمد الشاعر إلى التفصيل عن طريق تكرار ضمير الشأن مفتتحا القول بـ (الفاء) التي أخذت وظيفة (أما التفصيلية) فتمدّ البساط للقول وتنامي الأبيات ، وهذا ما نلحظه في قصيدة ( إلى القمة الصاعدة)(**19)**:

قمتي ..نحنُ إذْ تَطُوفُ بِنا الذكرى

صَداها وعطرُها المذخورُ

وسناها الذي أرادتْ لهُ الأقدارُ

أنْ تَسْتضيءَ فيهِ العصورُ

غيرَ أنّا نفسّرُ المجدَ أحيانا

بما لا يطيـــــــــقُهُ التّفسيرُ ..

فهو حينا: تميّعٌ وانكماشٌ

وهو حينا : تنمّرٌ وغرورُ

وهو إنَّ هبّتِ العواصفِ للهدمِ

-على خيرِ حكمةٍ – تبريرُ

وهو إذ يبتلي الكفاحُ (قضايانا)

هروبٌ من وجهها ونفورُ

وارتفاع على اصطدام الأعاصير

فما نحنُ واللظى .. والشرورُ

وأختم هنا أسلوب التعريفات الذي يبدو أثيرا للشاعر بقوله في قصيدة ( بين العقل والعاطفة):(20)

ما الحبُّ إلّا زفرةٌ خـرجت

من قلبِ مكلومِ الحشا كَمِدِ!!

ما الــحبُّ إلّا الدمعُ صـــعّدَهُ

وهـــجُ الحنانِ ورعدةُ الجسدِ

ما الحبُّ إلّا البـــحرُ ذو الزَّبَدِ

تســــــري به الدنيا بــلا أمدِ

تسجيل الشاعر تعريفات الحب هنا وتتابعها بهذا الشكل هو تفصيل لمجمل؛ إذ إنَّه فصّل هذه التعريفات عن بيت سبقهنّ هو(21)

وذهبتُ أحصــــي من معائِبِهِ

ما ليــــس يُحصِيهِ أخو الحَسَدِ...

نلاحظ علامة الترقيم بالنقاط التي أوردها الشاعر في نهاية البيت؛ ليوصله في بداية البيت اللّاحق، توكيدا منه أنّها موصولة بتفصيل، فجاء بعدد من أساليب الحصر محاولة، منه لاستكناه فورة الحب وإيجاد تفسيرٍ له، كما نلاحظ احتشاد المعجم الشعوري السلبي للكلمات الشعورية فهي جزء من المعائب (زفرة، ومكلوم، وكمد، والدمع، ووهج، ورعدة..) فالاتساق الشكلي صار رديفا للاتساق المعنوي، إذا ما دققنا في نسيج القصيدة ككل حيث وردت سبع مرات (يا قلبُ) واستبدلها في القصيدة مرّتين في مناداة (يا حبُّ) وفرّع منها، يا ترنيمة الأدب، يا بسمة الآمال، يا روعة الدنيا، يا باعثَ الأجيال، يا إيماضة اللهب، يا بردَ ماءِ الكوثر:(**22)**

يا حب ّ يا ترنيمةَ الأدبِ

يا بسمةَ الآمـــــــــالِ والأربِ

يا روعةَ الدنيا وزينتَها

يا مطلعَ الأقمـــــارِ والشــهبِ

يا باعثَ الأجيالِ ينهضُها

من هجعةِ التضليـــلِ واللعبِ

إنْ ترمك الدنيا بلا سببٍ

فالحقّ مرعــاةٌ لكلّ غبـــــــــي

يا حبّ يا إيماضةَ اللهبِ

يا بردَ مـــــــاءِ الكوثرِ العذبِ

ارفعْ لواكَ فإننا زمــــرٌ

نفديـــــــك بالأرواحِ والنشبِ

فقد تم تعويض عنصر بعنصر آخر لتسهم هذه العلاقة القبلية بين المستبدل منه والمستبدل به في تماسك النص المتعدد الأبيات ، فالاستمرارية متحققة من وجود العنصر الأول في الأبيات اللاحقة وتوقف فهمه من دون العود إلى العنصر السابق (**23)**، وهذا العود هو الذي يجعل العنصر السابق حاضرا في ذهن المتلقي ومن ثم هو الذي يحقق التلاحم بين الأبيات لفظيا ودلاليا ، وقد تمّ الربط بتعويض وحدة لغوية بوحدة لغوية أخرى تختلف عنها بالشكل وتشترك معها في الدلالة ، والربط لا يتحقق إلا بعد تحقق هذا الشرط(**24)**.

**الخاتمة:**

تناول البحث التفصيل والإجمال في شعر مصطفى جمال الدين ، وخلص إلى أنّ الشاعر استثمر هذه الوسيلة في جعل أبياته متناسلة متتابعة يرتبط بعضها ببعض ، عن طريق حضور أجزاء المجمل في التفصيل ، وبهذا تكمن الأحالة عن طريق إبقاء النسيج العام حاضرا في ذهن المتلقي بتشطيه في كل مفاصل النصّ ، فالتعويض بين العناصر هو الذي يجعل النصّ متسقا ومترابطا بقوة .

**الهوامش**

ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : الكفوي:42 ، والتلخيص في علوم البلاغة ، القزويني : 277، و علم البيان ، عبد العزيز عتيق :90

ينظر: كتاب التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني :47، و أصول السرخسي :2/28

ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ،الخطيب القزويني : 196-197،و عروس الإفراح: بهاء الدين السبكي ،:1/605

ينظر: اللمع في العربية ، ابن جني :64 ، واللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري :1/296

الإبهاج في شرح المنهاج ( منهاج الوصول إلى علم الأصول ) للقاضي البيضاوي :2/213

ينظر الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الاندلسي 1/42

ينظر: اللمع في العربية ،ابن جني : 64 ، والتعريفات ، علي بن محمد الجرجاني: 47 والإحكام في أصول الأحكام ،ابن حزم الأندلسي :1/42

الأجمال والتفصيل في القران الكريم ، فايز القرعان :10

نسيج النص ، الأزهر الزناد :39

الديوان :2/102

ينظر : العلاقات النصية في لغة القران، د.أحمد عزت يونس :233

دلائل الإعجاز – الجرجاني – :151

الديوان :286

الرحمن :آية76

الصافات :آية 46

الحجر :آية 47

الديوان : 225

شرح الكافية – الرضي- 1/199

الديوان : 1/159

المصدر نفسه :2/210

المصدر نفسه :2/209

المصدر نفسه :2/231-214

لسانيات النص – محمد خطابي – 20-21

ينظر : الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون ( رسالة ماجستير ) ربيعة بن مخلوف : 77.

**قائمة المصادر**

**القرآن الكريم.**

* الإبهاج في شرح المنهاج ( منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي (785هـ): تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب ، دار المكتبة العلمية –بيروت د. ط ،1416هـ/ 1995م.

الإجمال والتفصيل في القران الكريم ،دراسة تحليلية ، فايز عارف القرعان ، مجلة ابحاث اليرموك ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن مج 13، 1994.

* الإحكام في أصول الأحكام :أبو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ)،تح، الشيخ أحمد مجمد شاكر، دار آفاق الجديدة ، بيروت ، د. ط، د. ت.
* أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي (رسالة ماجستير ) :سوداني عبد الحق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ،2008-2009م.
* أصول السرخسي : محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت 483هـ)، دار المعرفة، د ط ، د ت.
* الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني (ت739هـ)،تح :د .محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط6، 1405هـ/1985م.
* التلخيص في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، الخطيب، (ت739هـ)، دار الفكر العربي ط2 ، 1350هـ/1932م.

دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1989.

* الديوان، مصطفى جمال الدين ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ط1 سنة 2008

شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاسترباذي ، تحقيق يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة بنغازي ، بيروت ، 1937.

* عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح :أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت 773ه): تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ،2003م.
* العلاقات النصية في لغة القرآن :د. أحمد عزت يونس ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ،ط1 ، 2014.
* علم البيان : عبد العزيز عتيق (ت1375ه)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1982م.
* كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت816ه)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1983م.
* الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت1094ه)،تح: عدنان درويش- محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت ، دط ، دت.
* اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء محب الدين العكبري (616ه)، تح : غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا ، ط1 ، 1995.
* لسانيات النصّ مدخل لانسجام الخطاب : د محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.
* اللمع في العربية : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392ه)، تح: فائز فارس ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ، دط، دت.
* نسيج النص ( بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ) الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1993م.
* النص من القراءة إلى التنظير : د. محمد مفتاح ، الدار البيضاء ، ط1، 2000م.